Journal Of the Iraqia University (65-2) February (2024)




ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

العراقية
المجلات الأكاديمية العلمية
IRAQI
Academic Scientific Journals

# تفسير قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ} [الزمر/٥٣] لشيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن محمد المقدسي المعروف بابن أبي الشريف (ت ٩٢٣هـ)

أ.م.د. ريبوار محمد سعيد

جامعة كركوك - كلية التربية للعلوم الإنسانية

**Interpretation of the Almighty's saying: {Say, O My servants} [Al-Zumar: 53]**
**By Sheikh Al-Islam Burhan Al-Din Ibrahim bin Muhammad Al-Maqdisi**
**Known as Ibn Abi Al-Sharif (d. 923 AH)**
**Investigation and Study**

Asst.Prof.Dr.REEBWAR MOHAMMED SAEED

doi 10.58564/MABDAA.62.2.2023.547

## ملخص البحث

من أنواع التأليف في التفسير، التأليف في تفسير آية واحدة لأهميتها، ومن ذلك هذه الرسالة، فهي رسالة صغيرة في تفسير قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ}، لشيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن محمد المقدسي، الشهير بابن أبي الشريف (ت ٩٢٣هـ)، فقد فسَّر هذه الآية تفسيراً موجزاً، وجاء هذا البحث في قسمين، عرَّف القسم الأول منه بالمؤلف ورسالته، وجاء القسم الثاني في تحقيق نص الرسالة.

## Research Summary

One of the types of authorship in interpretation is authorship in the interpretation of one verse due to its importance, including this letter, as it is a small letter in the interpretation of the Almighty's saying: {Say, O My servants}, by Sheikh al-Islam Burhan al-Din Ibrahim bin Muhammad al-Maqdisi, famously known as Ibn Abi al-Sharif (d. 923 AH), He explained this verse in a brief way, and this research came in two parts, the first part of which introduced the author and his message, and the second part came in investigating the text of the message.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد فإنَّ التأليف في علم التفسير اتخذ صوراً، ومناهج مختلفة، ومن صور التأليف في التفسير التأليف في تفسير آية واحدة من القرآن، إما لأهميتها أو لصعوبة فهمها على المسلمين، ومن أنواع التأليف في تفسير آية واحدة هذه الرسالة، أعني رسالة تفسير قوله تعالى: {قل يا عبادي}، لشيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن محمد المقدسي، المعروف بابن أبي الشريف (ت ٩٢٣هـ)وكان الشيخ ابن أبي الشريف من العلماء الربانيين العاملين، فأراد برسالته هذه ترغيب العاصين بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، عسى أن يكون سبباً في توبتهم وصلاح حالهم، وهذا يتضح من سيرته وسلوكه طوال حياته، رحمه الله تعالى  وقد اقتضت طبيعة العمل في البحث أن يكون على قسمين:القسم الأول: الدراسة، وفيها مبحثان اثنان:المبحث الأول: ابن أبي الشريف، حياته وسيرته ومؤلفاته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حياته وسيرته العلمية.المطلب الثاني: مكانته ومؤلفاته ووفاته.أما المبحث الثاني: فجاء بعنوان: رسالته في التفسير، ومنهج التحقيق، وفيه مطلبان:المطلب الأول: التعريف برسالته في التفسيرالمطلب الثاني: وصف النسخة الخطية، ومنهج التحقيق وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعاً لعباده، ويجمع لنا خير الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.الكلمات المفتاحية:التفسير، قل يا عبادي، ابن أبي الشريف.

## المبحث الأول ابن أبي الشريف: حياته وسيرته العلمية ومؤلفاته(١)

## المطلب الأول حياته وسيرته العلمية

إنَّ خير من تحدَّث عن البرهان ابن أبي الشريف، صاحبه ومعاصره السخاوي المؤرخ (ت ٩٠٢هـ) ([٢])، فقد كان ممن جمع واستوعب في أخبار صاحبه، لذا سأذكر ترجمته كاملةً، وأزيد عليها ما فات السخاوي من أخبار ابن أبي الشريف، لأنه قد مات قبل صاحبه بسنوات.اسمه ولقبه وكنيته ونسبه هو برهان الدين، إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عَليّ بن مَسْعُود بن رضوَان المرّي، المَقْدِسِي، ثمَّ القاهري، الشَّافِعِي. أَخُو الْكَمَال مُحَمَّد، وَيُعْرَفُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِابْن أبي شرِيف.

مولده ونشأته ولد فِي لَيْلَة الثُّلَاثَاء ثامن عشر ذِي الْقعدَة سنة سِتّ وَثَلَاثِينَ وَثَمَان مِئَة بِبَيْت الْمُقَدّس، وَنَشأ بهَا، فحفظ الْقُرْآن وَهُوَ ابْن سبع سنين، وتلاه تجويداً، وقرأ قراءة ابْن كثير وَأبي عَمْرو، على الشَّمْس ابن عمرَان، ولازم سِرَاجًا الرُّومِي فِي الْعَرَبِيَّة وَالْأُصُول والمنطق، وَيَعْقُوب الرُّومِي فِي الْعَرَبِيَّة والمعاني وَالْبَيَان، وسمع عَلَيْهِمَا كثيراً من فقه الْحَنَفِيَّة، وَسمِعَ على التقي القلقشندي الْمَقْدِسِي، والزين ماهر وَآخَرين، وَأَجَازَ لَهُ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني باستدعاء أَخِيه الكمال.

رحلاته العلمية وشيوخه:قدم الْقَاهِرَة غير مرّة، فَقَرَأَ على الْأَمين الأقصرائي شرح العقائد للتفتازاني، وَعلي الجلَال الْمحلى نَحْو النّصْف من شَرحه لجمع الْجَوَامِع فِي الْأُصُول([٣])، مَعَ سَماع بَاقِيه، وتفقه بِهِ، وبالعلم البُلْقِينِيّ وَغَيرهمَا، وَأخذ الْفَرَائِض والحساب عَن البوتيجي، والشهاب الأبشيطي، وَمِمَّا قَرَأَهُ عَلَيْهِ الألغاز فِي الْفَرَائِض نظمه، وَالتَّفْسِير عَن ابن الديري، وَكَذَا أَخذ عَن أبي الْفضل المغربي، وانتفع فِي هَذِه الْعُلُوم وَغَيرهَا بأَخيه الكمال ابن أبي الشريف، بل جلُّ انتفاعه بِهِ، وَبحث عَلَيْهِ فِي مصطلح الحَدِيث، وَحج مَعَه صُحْبَة أَبِيهِمَا فِي ركب الرجبية سنة ثَلَاث وَخمسين وثمان مئة، فحجَّ، وَسمع بِمَكَّة وَالْمَدينَة على جمَاعَة، كالتقي بن فَهد، وَأبي الْفَتْح المراغي، وَأبي الْبَقَاء بن الضياء، وَأبي السعادات، والمحب الطبري، وبرع فِي فنون، وَأذن لَهُ غير وَاحِد بالإقراء والإفتاء.

مؤلفاته:

(١) شرح الحاوي في الفقه الشافعي، مزجاً فِي مُجَلد أَو اثْنَيْنِ.

(٢) شرح قواعد الْإِعْرَاب، لِابْنِ هِشَام فِي نَحْو عشرَة كراريس دمج فِيهِ الْمَتْن. توجد نسخة منه في مكتبة ولي الدين أفندي في تركيا برقم (٢٩٦٥) ([٤]).

(٣) شرح العقائد لِابْنِ دَقِيق الْعِيد، وَسَماهُ: عنوان الْعَطاء وَالْفَتْح فِي شرح عقيدة ابْن دَقِيق الْعِيد أبي الْفَتْح.

(٤) نظم عقيدة ابن دقيق العيد، وهي التي شرحها.

(٥) شرح النفحة القدسية فِي الْفَرَائِض نظم ابْن الهائم، سَمَّاهُ الْمَوَاهِب القدسية.

(٦) شرح البهجة الوردية في الفقه الشافعي، ولم يكمله.

(٧) شرح منهاج النووي في الفقه الشافعي، في أربع مجلدات كبار([٥]).

(٨) منظومة في قراءة أبي عمرو على روي الشاطبية، في نحو خمس مئة بيت، قرضها له جماعة من المصريين وغيرهم نظماً ونثراً.

(٩) نظم نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني، على روي الشاطبية، في نيف ومئة بيت، قرضها له جماعة من المصريين وغيرهم.

(١٠) نظم لقطة العجلان للزركشي.

(١١) نظم الجمل في المنطق.

(١٢) نظم التهذيب في المنطق للتفتازاني.

(١٣) نظم الورقات في أصول الفقه، لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني.

(١٤) نظم شذور الذهب في النحو، لابن هشام الأنصاري.

(١٥) نظم عقائد النَّسَفِيّ، وَسَماهُ الفرائد فِي نظم العقائد.

(١٦) حواش على شرح العقائد للتفتازاني.

(١٧) تَفْسِير سُورَة الْكَوْثَر. واسمه: عقود الدر والجوهر في نبذة من أسرار سورة الكوثر، توجد نسخة منه في المكتبة الظاهرية، برقم (٥٨٨١/عام)، ضمن مجموع من ورقة: ٨٢-٨٧، قيد القراءة، كتبت سنة ٨٧٩هـ([٦]).

(١٨) تفسير سورَة الْإِخْلَاص.

(١٩) الْكَلَام على الْبَسْمَلَة.

(٢٠) الكلام عَلى خَوَاتِيم سُورَة الْبَقَرَة.

(٢١) الكلام عَلى قَوْله تَعَالَى: (إِن ربكُم الله) فِي سُورَة الْأَعْرَاف إِلَى إِن رَحْمَة الله قريب من الْمُحْسِنِينَ.

(٢٢) نظم جَامع المختصرات فِي الْفِقْه.

(٢٣) نظم مُخْتَصر فِي الْفِقْه، حذا فِيهِ حَذْو مجمع الْبَحْرين فِي تضمين خلاف الْمذَاهب مَا عدا أَحْمد.

(٢٤) مختصر الرسَالَة القشيرية، واسمه: منحة الْوَاهِب النعم وَالْقَاسِم فِي تَلْخِيص رِسَالَة الْأُسْتَاذ الْقشيرِي أبي الْقَاسِم.

(٢٥) ديوان من الخطب البليغة([٧]).

(٢٦) كتاب في الناسخ والمنسوخ من الآيات([٨]).

(٢٧) نظم السيرة النبوية([٩]).

(٢٨) رسالة في تفسير قوله تعالى: (قل يا عبادي) ([١٠])، وسيأتي التعريف بها، فهي موضوع هذا البحث.

(٢٩) الأسئلة والأجوبة في الفقه، توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية، برقم (٢٥٩٢٠) ([١١]).

(٣٠) رسالة في جواز الاقتداء بالمخالف وعدمه، في الفقه الشافعي. توجد نسخة منها في المدرسة الأحمدية في الموصل، مجاميع رقم: ٧/٨١/٢٤، كتبت سنة ١١٧٥هـ([١٢]).

(٣١) رسالة في المعرفة والتصوف، ولعلها الرسالة التي تأتي بعد ذلك نفسها، توجد نسخة منها في مكتبة جستربتي بتي، برقم: ٣٢٩٦/١٠، تقع في ٨٣–٨٧ ورقة، كتبت سنة ٩٠٤هـ([١٣])، أي في حياة المؤلف، رحمه الله.

(٣٢) كتاب في علم الحقيقة في التصوف، توجد نسخة منه في مكتبة بايزيد في تركيا، برقم (٧٩٥٧/عمومي)، ضمن مجموع من ورقة ٢١–٤١([١٤]).

مناصبه التي تولاها وأخلاقه:قطن الْقَاهِرَة واختص فِيهَا بالشرف الْمَنَاوِيّ، وَحضر دروسه بل صاهره على ابْنَته الَّتِي كَانَت زَوْجَة لِابْنِ الطرابلسي، وتولّى في مصر عدداً من المناصب العلمية، منها:

(١) التدريس في الجامع الأزهر وغيره، وَقسم وأقرأ فنوناً وَرُبمَا أفتى.

(٢) تدريس التَّفْسِير بِجَامِع طولون.

(٣) تدريس الْفِقْه والميعاد والخطابة بالمدرسة الحجازية.

(٤) تدريس الفِقْه وَالنَّظَر بِجَامِع الفكاهين، وَفِي غير ذَلِك.

(٥) وناب فِي تدريس الْفِقْه بالمزهرية وبالمؤيدية.

(٦) ناب عن صهره الشرف المناوي في القضاء([١٥]).

(٧) العمل بالتِّجَارَة، وبتجارة الصابون حصراً.وَعرف البرهان ابن أبي الشريف بالملاءة مَعَ الْفضل والبراعة وَالْعقل والسكون، وعفة النفس، وعدم الأكل من الأموال التي كانت توقف للشيوخ والعلماء.تلاميذه وشعره: كتب عَنهُ البقاعي، وَقَالَ: أَنه فِي الْعشْرين من عمره صَار من نَوَادِر الزَّمَان، وَكَذَا كتب عنه السخاوي أبياتاً فِي مَوَانِع النِّكَاح، وقصيدة فِي ختم البُخَارِيّ، من أبياتها([١٦]):

دموعي قد نمت بسر غرامي ... وباح بوجدي للوشاة سقامي

فأضحى حَدِيثي بالصبابة مُسْندًا ... ومرسل دمعي من جفوني دامي

وَكتب إِلَى أَخِيه متشوقا([١٧]):

مَا خلت برقا بأرجاء الشآم بدا ... إِلَّا تنفست من أشواقي الصعدا

وَلَا شممت عبيرا من نسيمكم ... إِلَّا قضيت بِأَن أَقْضِي بِهِ كمدا

وَلَا جرى ذكركُمْ إِلَّا جرت سحب ... أوردت لظى بفؤاد أورثته ردى

يَا لوعة الْبَين مَا أبقيت من جلد ... أيقنت وَالله أَن الصَّبْر قد نفدا

حشوت أحشاي نيرانا قد اتقدت ... بأضلعي فأذابت مني الجسدا

كَيفَ السَّبِيل إِلَى عود اللِّقَاء وَهل ... هَذَا البعاد قضى الْمولى لَهُ أمدا

من يبلغ الصحب أَن الصب قد بلغت ... أشواقه حَالَة مَا مثلهَا عهدا

لم أنس أنس لَيَال بالهنا وصلت ... وَالنَّفس بالوصل أَمْسَى عيشها رغدا
أحادي العيس إن حاذيت حيهم ... فحيهم وصف الوجد الَّذِي وجدا
وَأشْهد بِمَا شهِدت عَيْنَاك من حرق ... يهدا السقام وَمَا مِنْهَا الْفُؤَاد هدا
وَإِن حللت رَبِّي تِلْكَ الرباع فسل ... عَن جيرة لَهُم روح المشوق فدا
فالروح مَا بَرحت بالقدس مَسْكَنهَا ... والجسم فِي مصر للتبريح قد قعدا
هِيَ الْبِقَاع الَّتِي شدّ الرّحال لَهَا ... على لِسَان رَسُول الله قد وردا
من حل أرجاءها ترجى النجَاة لَهُ ... أكْرم بهَا معبدًا أعظم بهَا بَلَدا
صوب العهاد على تِلْكَ الْمعَاهد لَا ... زَالَت سحائبه منهلة أبدا

وَهُوَ فِي كدر بِسَبَب ولد لَهُ(١٨).

**المطلب الثاني مكانته العلمية ومؤلفاته ووفاته**

أولاً: مكانته العلمية:لابن أبي الشريف مكانة علمية عالية بين علماء عصره، وفضائل ذكرها كل من ترجم له، وهذه بعض أقوال العلماء فيه:قال السخاوي: درَّس التفسير بجامع طولون وأخذ عنه الطلبة في جامع الأزهر وغيره.وقال الأدنوي: "إمام جليل القدر، جميل الأخبار، ذو همة وافرة.قال الشعراوي: كان يتقوت من مصبنة له بالقدس، ولا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئًا، وكان قوالًا بالحق آمرًا بالمعروف لا يخاف في الله لومة لائم، وكان الناس يقولون جميع ما وقع للغوري بسر الشيخ(١٩).

ثالثاً: وفاته اتفقت المصادر على أنَّ وفاته: سنة (٩٢٣ هـ) ثلاث وعشرين وتسع مائة(٢٠). وقال بدر الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ) في آخر ترجمة البرهان ابن أبي الشريف: (وكانت وفاته، رحمه الله تعالى، كما نقله ابن الحنبلي عن ابن الشماع نقلاً عن بعض فضلاء المصريين، في فجر يوم الجمعة ليومين بقيا من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وقرأت بخط تلميذ الشيخ برهان الدين شيخ الإسلام الوالد أنَّه توفي ليلة الجمعة تاسع عشري المحرم سنة ثلاث وعشرين المذكورة. قال: ودفن بالقرب من ضريح الشافعي، رضي الله تعالى عنه، وفي يوم الجمعة رابع عشري ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين المذكورة صليت بدمشق صلاة الغائب بالجامع الأموي على جماعة من العلماء ماتوا القاهرة، وهم صاحب الترجمة، وقاضي قضاة الحنفية البرهان بن الكركي، والشيخ العلامة برهان الدين الطرابلسي الحنفي، والشيخ العلامة شهاب الدين القسطلاني الشافعي، والشيخ العلامة الصالح المحدث المصري زين الدين عبد الرحمن الصالحي الشافعي، رحمهم الله تعالى، ذكر ذلك الحمصي وابن طولون في تاريخهما)(٢١).

## المبحث الثاني رسالته في تفسير: قل يا عبادي ومنهج التحقيق

**المطلب الأول التعريف برسالته في تفسير: قل يا عبادي**

أولاً: إثبات نسبة الرسالة للبرهان ابن أبي الشريف: لم يذكر أحد من العلماء الذين ترجموا لابن أبي الشريف أنَّ له رسالة في تفسير هذه الآية، إلا مؤلفي معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، إذ جاء ذكر هذه الرسالة ضمن عنوان: (تفسير آيتين وحديث)، وذكر أنَّ مكان حفظ هذه الرسالة في مكتبة آيا صوفيا، برقم (٣٩٣) (٢٢) وهذا نفسه ما جاء على طرَّة النسخة الخطية الفريدة للرسالة، إذ جاء عليها ما نصُّه: (تفسير الآيتين والحديث... لشيخ الإسلام: برهان الدين ابن أبي الشريف)(٢٣).

ثانياً: موضوع الرسالة: الرسالة في تفسير قوله تعالى: {قل يا عبادي}، وهي الآية (٥٣) من سورة الزمر، إذ ذكر البرهان ابن أبي الشريف أنَّ هذه الآية هي أرجى آية في القرآن الكريم، واتبع في التفسير منهجاً روحياً فريداً، رغَّب فيه العصاة بالتوبة، وبشَّرهم فيه بالمغفرة، فأجاد وأفاد، رحمه الله تعالى، ولم يذكر في الرسالة مصادره التي اعتمدها، ولا العلماء المفسرين الذين نقل عنهم، وأشار في رسالته المختصرة هذه إلى بعض النكات اللغوية، والبلاغية، واستشهد بحديث واحد، عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

**المطلب الثاني وصف النسخة الخطية ومنهج التحقيق**

أولاً: وصف النسخة الخطية:اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة خطية فريدة تحتفظ بها مكتبة آيا صوفيا في اسطنبول برقم (٣٩٣)، وهذه بياناتها:اسم الرسالة: رسالة في تفسير قوله تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم)اسم المؤلف: الشيخ الإمام الفقيه المفسّر العلامة الموسوعي: إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أيوب برهان الدين أبي إسحاق المقدسي القاهري، المعروف بابن أبي شريف المتوفى بالقاهرة سنة: ٩٢٣هـ.مصدر النسخة: مكتبة جامع آيا صوفيا بتركيا ضمن مجموع للمؤلف برقم ٣٩٣؛ من: ٣٨-٤٩،عدد اللوحات: ١٣ لوحة،

وعدد الأسطر في كل لوحة خمسة أسطرالملاحظات: نسخة خزائنية نفيسة مكتوبة بخط نسْخي جميل كبير .أول المخطوط: (هذه رسالة لطيفة حول تفسير الآية المذكورة. أظهر المؤلف معانيها وأسرارها وإشارتها بأوجز عبارة، وأبلغ إشارة).

ثانياً: منهج التحقيق:اتبعت في تحقيق هذه الرسالة المنهج الآتي:

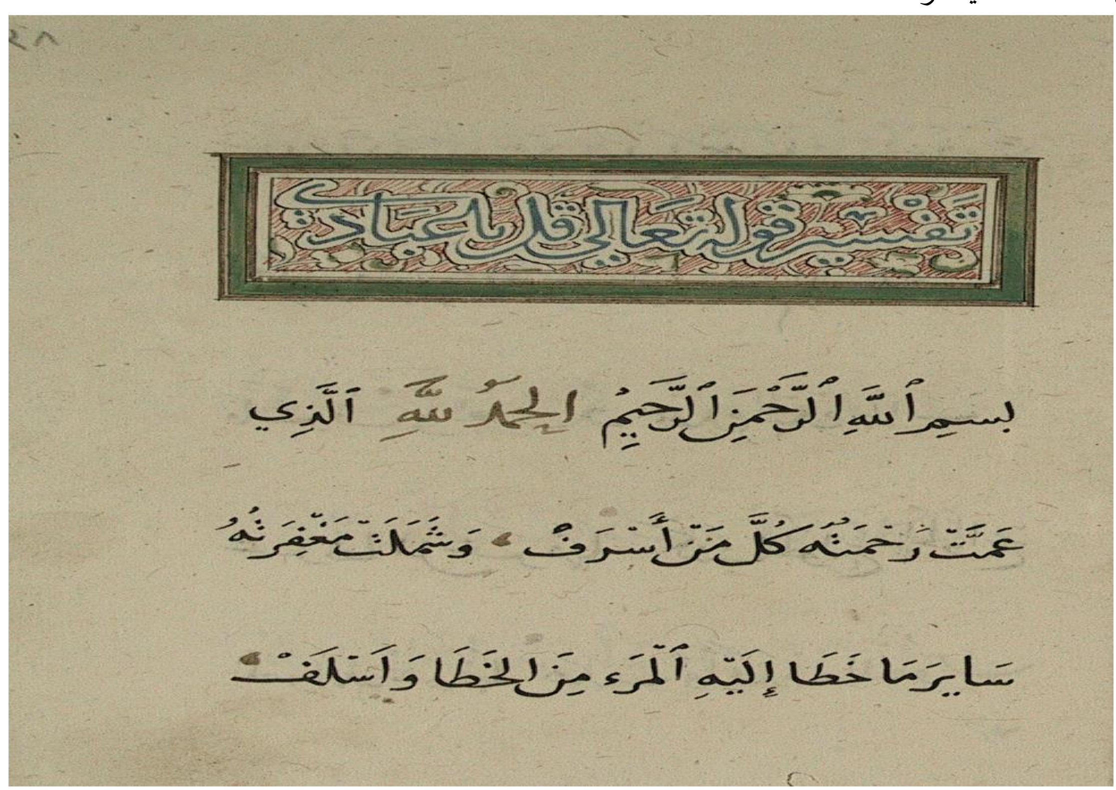
(١) نسخت المخطوط على وفق الإملاء العربي الحديث.

(٢) خرجت الآيات والأحاديث التي وردت في الرسالة.

(٣) علَّقت على بعض المواضع، ووثقت المعلومات التي أوردها المؤلف.

(٤) قدَّمت للتحقيق بمقدمة دراسية عرَّفت فيها بالمؤلف ورسالته.

نماذج من النسخة الخطية للرسالة


تفسير قوله تعالى قل يا عبادي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي

عمت رحمته كل من أسرف وشملت مغفرته

ساير ما خطا إليه المرء من الخطا وأسلف

اللوحة الأولى من الرسالة المخطوطة

اللوحة الثانية من الرسالة المخطوطة



اللوحة الأخيرة من الرسالة المخطوطة

القسم الثاني: النص المحقَّق:

[١/ظ]بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ الحمدُ للهِ الذي عمَّت رحمتُه كُلَّ مَنْ أَسْرَفَ، وشَمِلَتْ مغفرتُه سائرَ ما خَطَا إليه المرءِ من الخطأِ وأَسْلَفَ، [٢/و] والصَّلاةُ والسَّلامُ على أكملِ خلقهِ وأشرفِ، وآلهِ وصحبهِ ما استشرف فهمٌ للدقائق فأشرف. وبعدُ فهذه نبذةٌ طابَ عَرْفُها لمن عَرَفَها، سكنت الجوانح(٢٤) للفوائد غُرَفَها، هدَتْ وأهدتْ للنفوس [٢/ظ] طُرَفها، لطيفةٌ حَسَنَةٌ، وفي الصحيفة أيَّ حَسَنَةٍ، لم أرَ مَنْ حصَل على مثالها، ولا وصل إلى مَنالها، ولا نسجَ على مِنْوالِها، في الكلام على قوله تعالى: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} [٣/و] إلى قوله تعالى: {الغفور الرحيم}[الزمر/٥٣]، بأعذب لفظٍ في الطروس(٢٥) رقيمٍ، وأهذبِ معنًى تُقَرِّبُه السطورُ مستقيمٍ، وتُقِرُّ بهِ أهلُ البلاغة وتقول: ما أحقه بالتقديم راح في الفصاحة وغدَا، أرجو أن أنجوَ [٣/ظ] به غداً، وأحوزَ به جزيل مَنِّهِ العميم، وأفوزَ منه بجميل النظر إلى وجهه الكريم. فأقولُ:هذه آية أرَجُ رجائها نَشَرَ ما طاب نشرًا، وبشّرَ بما سرى سرورُه للسرائر ومنحها بِشرًا، أعلمَتْ بعميمِ رَحْمَتِه، وأعلنت بعظيم [٤/و] رأفته(٢٦) شرَحَت الصدورُ بما شرَحَتْ، فاطمأنتِ القلوب بما به افتُتِحَتْ، من الأمر لخاصَّةِ أنبيائه، وخلاصةِ أصفيائه، بنداءِ عباده الذين كساهم من الفَخار أثوابَه، وفتح لهم من القُرْب أبوابَه، حيث قال تعالى: [٤/ظ] {قُلْ يَا عِبَادِيَ} بالإضافة، وأيُّ عِزٍّ وفخرٍ نالَه من إلى جنابه أضافه(٢٧) باح مَطلِعُها بالكرمِ والرِّعاية، ولاحَ مِن مَطالعِها لمُطالعها كمالُ العنايةِ. هبَّت منها نسماتُ الإحسانِ، وسماتُ الجودِ والامتنان، [٥/و] ووهبت لأهل الإيمان بعد الخوفِ الأمانَ؛ ففي إضافتهم إليه تعالى إشارةٌ إلى أنَّ الكافرَ لَمْ تنلْهُ هذه البشارة(٢٨) وفي الإتيان بالموصول(٢٩)، سِرٌّ بالحِكَمِ موصول، فلم يُسَمِّهُم بالمسرفين فيكونَ وصفاً ثابتاً لازماً، ولم يسمّهم به [٥/ظ] لأنَّه لا يكون مع قوله تعالى: {يا عبادي} ملائماً(٣٠).والماضي على الانقضاء ظاهرُ الدَّلالة بالبِنَاء، فهُجِرَ المضارع المؤذِن بالتجدد هنا.وأوثِرَ {أسرفوا} على (أذنبوا) لتوسيع الأمل؛ ففي الإسراف إشعار بكثرة الزلل، وإنَّه مع [٦/و] ذلك وسعته الرحمة، وشمِله الغفران وعمَّه وما أنفس السر في قوله: {على أنفسهم} وأبدعه، وما أحسن ما جمع من اللطائف وأودعه؛ لأنَّ إضْرَ الإسراف صائر إليها، وضررَ اكتسابَه ليس إلا عليها؛ فمعاصي الخلق، لا [٦/ظ] تضرُّ الحقَّ، ومَنْ كان غِناه مطلقاً، لا يضرُّه شيءٌ مطلقاً، فالعبادة نفعها للعبد، والضرر لاحق بنفسه حاقٌّ بها إذا أعرض وصَدّ(٣١) وأضاف الرحمة لاسمه العلم عليه(٣٢)، الذي يعلمه الجميع ويطمئنون إليه؛ لينبهك [٧/و] على أنَّ رحمته وغفرانَه الذنبَ وإن استعظمْتَ قدْرَه، صادران مع كمال عِزٍّ، وتمام قَهْرٍ وقدرة. وأظهر اسمه العلم الأعظم ثانيًا؛ لتكون لعِنان الالتفات إلى الرجاء ثانيَاً، فنشر بذكره ما مات من القلوب، وبشَّرَ بأنَّه لا [٧/ظ] يُعجِزُه غفرانُ الذنوب، وقرنه بـ (إنَّ) المؤَكِّدة، لتكونَ لفسيح الأمل موطِّدة، ويَثْلَجَ من المُزْن خاطرُه، ويَقِرَّ بذلك ويبتهجَ ناظرُه. وأيضا فإعادته زادت التنبيه على أنَّ الجامع لصفات

الكمال، وسمات الجلال والجمال، لا يبلغ بليغ [٨/و] للتعبير عن منتهى عطائه، وينتهي عن اعتقاد أنَّه ينتهي إلى علم مَدَدِ آلائه، ويتحققُ أنَّ عظيم الذنب لدى عفوه حقير، وكبيرَه في جنب رحمته صغير وتذكيرك بالعظمة قامعٌ لنفسك عن ارتكاب [٨/ظ] الذنوب، قاطعٌ للاسترسال في الإعراضِ جاذبٌ للقلوب، مانع من استمراء المخالفة واستمرارِها، باعثٌ على خشيته في سِرار الأمور وجِهارها، وداعٍ نفوسَ العقلاء إلى إقبالها ورفْضِ إدبارها([٣٣]) وقد شد عضُدَ [٩/و] الرجاءِ وشيَّدَ أركانَه، وقوّى قواه وسدَّدَ بنانه، قولُه تعالى: {يغفر الذنوب جميعا}، فرقي الأمل مرتقى رفيعاً، وسَكَنَ جأشُه عندما سَكَنَ معقِلاً منيعاً، بشمول المغفرةِ الذنوبَ كُلَّها، وإلقائِها [٩/ظ] عن الظهور كَلَّها، فيا لها رحمةٌ شاملةٌ، ورأفةٌ عامةٌ كاملة، باستيفاء الجميع كافلة سقت السرائرُ من السرور راحاً، فرَقَت على سرائر الحبور غدواً ورواحاً؛ بما بسطه عمومها ووَسِعَه، ولم تَخُصَّ الغفرانَ [١٠/و] بمن وقع الخطابُ معه وصيَّر قولُه تعالى: {جميعا} الجمعَ في الجَمِيعِ نصَّاً، فلم يحتمل اللفظ بعده تخصيصاً ولا نقصاً، فخطابُها ضَمَّك إلى كنف الأمان تطولاً، وضَمِنَ لك سَتر ما اقترفْتَه واجترحْتَه تفضلاً[١٠/ظ] وأفصحت بأنَّ لك إلها بَرَّا بك رفيقاً، وأوضحت بندائِها أنِ اتَّخِذْ حُسْنَ الظَّنِّ فيه رفيقاً، وناجَتْك بأنَّ رحمته على غضبهِ سابقة، ونادتك جملتها: أَنا لك إلى الوثوق بأكرميتهِ سائقة، وجعل تعالى آخرها منعطفاً [١١/و] على ما تقدَّمه، مستعطفا للمذنب ما أَخَّره في الآيةِ وقدَّمَه خاطبت ذوي الألباب، بأنَّ من طُرِدَ عن الباب، إذا أقبل وأناب، قُبِلَ منه المآب، إنَّهُ هو الغفور للمذنب عظيمَ خطيئته، الرحيمُ فلا يَقنَطْ مؤمنٌ من [١١/ظ] رحمتِهِ، وكلا الاسمين من أبنيةِ المبالغة، للتنبيه على أنَّ كُلَّاً([٣٤]) من مغفرته ورحمته لأقصى الغايات بالغة، ففي الختام انعطافٌ بأوَّل الكلام، وفي {الغفور} مع قوله: {يغفر} أيَّ انتظام([٣٥])جعل {الرحيم} من اللفظ آخِرَه؛ لحديث: (رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَرَحِيْمَ الآخِرَةِ)([٣٦]). [١٢/و] والغفران للمسرفين واقع فيها، فمراعاة المناسبة تعطي الآيةَ حَقَّها وتُوَفِّيها وهذا آخرُ ما سمح به قَوِيُّ القريحةِ، وسنحَ للفكرةِ القريحةِ، ووراء ذلك أسرار محتجِبةٌ تحت الأستارِ كَلَّ عنها الفهم [١٢/ظ] ووَقَف، ومن شاء الله أن يُوقِفَه على شيء منها وَقَف والحمدُ للهِ وحدَهُ، على ما لا نبلغُ حَدَّه، وصلَّى الله وسلَّم في الجهرِ والإسرارِ، على معدِنِ الرِّسالةِ وجامعِ الأسرارِ، سيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلهِ وصَحْبِهِ، ومَنْ على مِنْوالِه.

مصادر الدراسة والتحقيق:


- ✓ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- ✓ الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- ✓ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- ✓ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة – بيروت.
- ✓ تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- ✓ تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- ✓ تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- ✓ تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
- ✓ تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- ✓ تفسير القشيري: لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (د.ت).
- الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت (د.ت).
- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، إعداد: علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.
- نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية – بيروت نظم العقيان في أعيان الأعيان


## هوامش البحث

---

(١) مصادر ترجمته: الضوء اللامع، للسخاوي: ١/١٣٤–١٣٦، ونظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي: ص٢٦، وطبقات المفسرين، للداودي: ١/١٨، وطبقات المفسرين، للأدنوي: ص٣٤٦، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للغزي: ١/١٠٢، والبدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، للشوكاني: ١/٢٦، والأعلام، للزركلي: ١/٦٦، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: ١/٨٨، ومعجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، لمحمد محمد سالم محيسن: ٢/٣٠، ومعجم المفسرين، لعادل نويهض: ١/٢٠، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، وليد الزبيري، وآخرين: ١/٩٩.

(٢) الضوء اللامع: ١/١٣٤–١٣٦.

(٣) هو شرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي، واسمه: (البدر الطالع في شرح جمع الجوامع)، من كتب أصول الفقه المعتمدة في التدريس عند الشافعية.

(٤) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، المخطوطات والمطبوعات، علي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط: ١/٧٥.

(٥) الكواكب السائرة: ١/١٠٤.

(٦) معجم تاريخ التراث الإسلامي: ١/٧٥.

(٧) الكواكب السائرة: ١/١٠٢.

(٨) الكواكب السائرة: ١/١٠٤.

(٩) الأعلام: ١/٦٦.

(١٠) معجم التراث الإسلامي: ١/٧٥. تحت عنوان: (تفسير آيتين وحديث).

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) معجم التراث الإسلامي: ١/٧٥.

(١٤) معجم تاريخ التراث الإسلامي: ١/٧٥-٧٦.

(١٥) الكواكب السائرة: ١/١٠٢.

(١٦) الضوء اللامع: ١/١٣٥.

(١٧) المصدر نفسه: ١/١٣٥-١٣٦.

(١٨) هذا آخر ما كتبه السخاوي عن صاحبه البرهان بن أبي الشريف. ولا شكَّ في أنَّ ابن أبي الشريف عاش بعد السخاوي تسعة عشر سنة، وصارت له أخبار في هذه المدة، فما لم يذكره السخاوي، ذكرته مع العزو إلى مصادره.

(١٩) الموسوعة الميسرة: ١/١٠٠، وفيها ذكر المصادر.

(٢٠) الموسوعة الميسرة: ١/١٠٠.

(٢١) الكواكب السائرة: ١/١٠٥.

(٢٢) معجم تاريخ التراث الإسلامي: ١/٧٥.

(٢٣) المخطوط: ١/و.

(٢٤) تكررت في الأصل.

(٢٥) جمع طرس، وهو الصحيفة. فالطروس: الصحف. ينظر: (أساس البلاغة، للزمخشري: ١/٦٠١).

(٢٦) قال سهلٌ التستري (ت ٢٨٣هـ): (أمهلَ اللهُ، تعالى، عباده تفضلاً منه إلى آخر نَفَسٍ، فقال لهم: لا تقنطوا من رحمتي فلو رجعتم إليَّ في آخرِ نفسٍ قبلتكم. قال: وهذه أبلغُ آيةٍ في الإشفاق من الله تعالى إلى عبادهِ، لعلمه بأنَّه ما حرمهم ما تفضل به على غيرهم، فرحمهم حتى أدخلهم في عين الكرم بالذكر القديم لهم. وقد حكي عن جبريل، عليه الصلاة والسلام، أنَّه: سمع إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، يقول: يا كريم العفو. فقال له جبريل عليه السلام: يا إبراهيم، أتدري ما كرم عفوه؟ قال: لا يا جبريل. قال: إذا عفا عن سيئة جعلها حسنة. ثم قال سهل: اشهدوا عليَّ أنِّي من ديني أن لا أتبرأ من فُسَّاقِ أُمَّةِ محمد، صلَّى الله عليه وسلّم، وفُجَّارِهم وقاتلهم وزانيهم وسارقهم، فإنَّ الله تعالى لا يُدْرَك غاية كرمه وفضله وإحسانه بأمة محمد، صلّى الله عليه وسلَّم، خاصة). (تفسير التستري: ص١٣٤).

(٢٧) قال القشيري (ت ٤٦٥هـ): (التسمية بـ {يا عِبادِيَ} مدحٌ، والوصف بأنهم {أَسْرَفُوا} ذم. فلمّا قال: {يا عِبادِيَ} طمع المطيعون في أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رءوسهم، ونكّس العصاة رءوسهم وقالوا: من نحن.. حتى يقول لنا هذا؟! فقال تعالى: {الَّذِينَ أَسْرَفُوا} فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكّسوا رءوسهم انتعشوا وزالت ذلّتهم، والذين رفعوا رءوسهم أطرقوا وزالت صولتهم. ثم أزال الأعجوبة عن القسمة بما قوّى رجاءهم بقوله: {عَلى أَنْفُسِهِمْ} يعني: إنْ أسرفت فعلى نفسك أسرفت. {لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}: بعد ما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عنّا. {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً} الألف واللام في {الذُّنُوبَ} للاستغراق والعموم، والذنوب جمع ذنب، وجاءت {جَمِيعاً} للتأكيد فكأنه قال: أغفر ولا أترك، وأعفو ولا أبقى). (لطائف الإشارات:٣/٢٨٧).

(٢٨) فهي للمسلمين عامة. ينظر: تفسير البغوي: ٧/١٢٥، وتفسير ابن عطية: ٤/٥٣٦.

(٢٩) أي في قوله: {الذين}.

(٣٠) قال الإمام الرازي (ت ٦٠٦هـ): (اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ سَمَّى الْمُذْنِبَ بِالْعَبْدِ، وَالْعُبُودِيَّةُ مُفَسَّرَةٌ بِالْحَاجَةِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَاللَّائِقُ بِالرَّحِيمِ الْكَرِيمِ إِفَاضَةُ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ عَلَى الْمِسْكِينِ الْمُحْتَاجِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى أَضَافَهُمْ إِلَى نَفْسِهِ بِيَاءِ الإضافة فقال: {يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا} وَشَرَفُ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ يُفِيدُ الْأَمْنَ مِنَ الْعَذَابِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: {أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ} وَمَعْنَاهُ أَنَّ ضَرَرَ تِلْكَ الذُّنُوبِ مَا عَادَ إِلَيْهِ بَلْ هُوَ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ، فَيَكْفِيهِمْ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ عَوْدُ مَضَارِّهَا إِلَيْهِمْ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى إِلْحَاقِ ضَرَرٍ آخَرَ بِهِمْ.

الرابع: أَنَّهُ قَالَ: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} نَهَاهُمْ عَنِ الْقُنُوطِ فَيَكُونُ هَذَا أَمْرًا بِالرَّجَاءِ، وَالْكَرِيمُ إِذَا أَمَرَ بِالرَّجَاءِ فَلَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا الْكَرَمُ.

الْخَامِسُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ أَوَّلًا: {يا عِبادِيَ} وَكَانَ الْأَلْيَقُ أَنْ يَقُولَ: لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِي، لَكِنَّهُ تَرَكَ هَذَا اللَّفْظَ وَقَالَ: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} لِأَنَّ قَوْلَنَا اللَّهِ أَعْظَمُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَأَجَلُّهَا، فَالرَّحْمَةُ الْمُضَافَةُ إِلَيْهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، بَلْ أَعَادَ اسْمَ اللَّهِ وَقَرَنَ بِهِ لَفْظَةَ إِنَّ الْمُفِيدَةَ لِأَعْظَمِ وُجُوهِ التَّأْكِيدِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يدل على المبالغة في الوعد بالرحمن.

السَّابِعُ: أَنَّهُ لَوْ قَالَ: يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لَكَانَ الْمَقْصُودُ حَاصِلًا لَكِنَّهُ أَرْدَفَهُ بِاللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى التَّأْكِيدِ فَقَالَ جَمِيعًا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْمُؤَكِّدَاتِ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ غَفُورًا، وَلَفْظُ الْغَفُورِ يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ.

التَّاسِعُ: أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ رَحِيمًا وَالرَّحْمَةُ تُفِيدُ فَائِدَةً عَلَى الْمَغْفِرَةِ فكان قوله إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ إِشَارَةً إِلَى إِزَالَةِ مُوجِبَاتِ الْعِقَابِ، وَقَوْلُهُ الرَّحِيمُ إِشَارَةً إِلَى تَحْصِيلِ مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ وَالثَّوَابِ.

الْعَاشِرُ: أَنَّ قَوْلَهُ {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} يُفِيدُ الْحَصْرَ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا غَفُورَ وَلَا رَحِيمَ إِلَّا هُوَ، وَذَلِكَ يُفِيدُ الْكَمَالَ فِي وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ، فَهَذِهِ الْوُجُوهُ الْعَشَرَةُ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهِيَ بِأَسْرِهَا دَالَّةٌ عَلَى كَمَالِ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْفَوْزَ بِهَا وَالنَّجَاةَ مِنَ الْعِقَابِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ). (تفسير الرازي: ٢٧/٤٦٤-٤٦٥).

(٣١) تقدَّم معنى ذلك في كلام الإمام الرازي، رحمه الله.

(٣٢) أي: إلى اسمه (الله).

(٣٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٥/٤٦.

(٣٤) في النسخة المخطوطة: (كُلَّ)، والمثبت الصواب.

(٣٥) قال أبو حيان (ت ٧٤٥هـ): ({قُلْ يَا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا}: نَزَلَتْ فِي وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ، قَالَهُ عَطَاءٌ أَوْ فِي قَوْمٍ آمَنُوا عَيَّاشِ بْنُ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَنَفَرٍ مَعَهُمَا، فَفَتَنَتْهُمْ قُرَيْشٌ، فَافْتَتَنُوا وَظَنُّوا أَنْ لَا تَوْبَةَ لَهُمْ، فَكَتَبَ عُمَرُ لَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ، قَالَهُ عُمَرُ وَالسُّدِّيُّ وَقَتَادَةُ وَابْنُ إِسْحَاقَ. وَقِيلَ: فِي قَوْمٍ كُفَّارٍ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ قَالُوا: وَمَا يَنْفَعُنَا الْإِسْلَامُ وَقَدْ زَنَيْنَا وَقَتَلْنَا النَّفْسَ وَأَتَيْنَا كُلَّ كَبِيرَةٍ؟

وَمُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا شَدَّدَ عَلَى الْكُفَّارِ وَذَكَرَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَأَنَّهُمْ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَى بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، ذَكَرَ مَا فِي إِحْسَانِهِ مِنْ غُفْرَانِ الذُّنُوبِ إِذَا آمَنَ الْعَبْدُ وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ. وَكَثِيرًا تَأْتِي آيَاتُ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَاتِ النِّقْمَةِ لِيَرْجُوَ الْعَبْدُ وَيَخَافَ. وَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ كَافِرٍ يَتُوبُ، وَمُؤْمِنٍ عَاصٍ يَتُوبُ، تَمْحُو الذَّنْبَ تَوْبَتُهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ عَامِرٍ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}: عَامٌّ يُرَادُ بِهِ مَا سِوَى الشِّرْكِ، فَهُوَ مُقَيَّدٌ أَيْضًا بِالْمُؤْمِنِ الْعَاصِي غَيْرِ التَّائِبِ بِالْمَشِيئَةِ. وَفِي قَوْلِهِ: {يَا عِبادِيَ}، بِإِضَافَتِهِمْ إِلَيْهِ وَنِدَائِهِمْ، إقبال وتشريف. و {أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ}: أَيْ بِالْمَعَاصِي، وَالْمَعْنَى: أَنَّ ضَرَرَ تِلْكَ الذنوب إنما هُوَ عَائِدٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْقُنُوطِ يَقْتَضِي الْأَمْرَ بِالرَّجَاءِ، وَإِضَافَةُ الرَّحْمَةِ إِلَى اللَّهِ الْتِفَاتٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الِاسْمِ الْغَائِبِ، لِأَنَّ فِي إِضَافَتِهَا إِلَيْهِ سِعَةً لِلرَّحْمَةِ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْأَسْمَاءِ، لِأَنَّهُ الْعَلَمُ الْمُحْتَوِي عَلَى مَعَانِي جَمِيعِ الْأَسْمَاءِ. ثُمَّ أَعَادَ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، وَأَكَّدَ الْجُمْلَةَ بِأَنَّ مُبَالَغَةً فِي الْوَعْدِ بِالْغُفْرَانِ، ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِمَا سَبَقَ فِي الْجُمْلَتَيْنِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ بِصِفَتَيِ الْمُبَالَغَةِ، وَأَكَّدَ بِلَفْظِ هُوَ الْمُقْتَضِي عِنْدَ بَعْضِهِمُ الْحَصْرَ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}، شَرْطَ التَّوْبَةِ. وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ هَذَا الشَّرْطِ فِي الْقُرْآنِ، فَكَانَ ذِكْرُهُ فِيمَا ذُكِرَ فِيهِ ذِكْرًا لَهُ فِيمَا لَمْ يُذْكَرْ فِيهِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ فِي حُكْمِ كَلَامٍ وَاحِدٍ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ التَّنَاقُضُ. انْتَهَى، وَهُوَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُعْتَزِلَةِ فِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِيَ لَا يُغْفَرُ لَهُ إِلَّا بِشَرْطِ التَّوْبَةِ). (البحر المحيط: ٩/٢١١-٢١٢).

(٣٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي وقفت عليه ما رواه الطبراني في معجمه الكبير: ٢٠/١٥٤، برقم (٣٢٣)، ٢٠/١٥٩، برقم (٣٣٢): (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما)، وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء: ٥/٢٠٤، والبيهقي في الدعوات الكبير: ١/٤١٢، برقم (٣٠٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/٧٧، برقم (٢٩٥٩٨).

**Sources of study and investigation:**

 The Basis of Rhetoric, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, Al-Zamakhshari Jarallah (deceased: 538 AH), edited by: Muhammad Basil Ayoun Al-Aswad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition, 1419 AH - 1998 AD.

 Al-A’lam, Khairuddin bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris, Al-Zarkali Al-Dimashqi (deceased: 1396 AH), Dar Al-Ilm Lil-Millain, Edition: Fifteenth - May 2002 AD.

 Al-Bahr Al-Muhit in Al-Tafsir, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan Atheer Al-Din Al-Andalusi (died: 745 AH), edited by: Sidqi Muhammad Jameel, Dar Al-Fikr - Beirut, Edition: 1420
 Al-Badr Rising with Virtues from After the Seventh Century, Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah Al-Shawkani Al-Yamani (died: 1250 AH), Dar Al-Ma'rifah - Beirut.
 Tafsir Ibn Attiya: The brief editor in the interpretation of the Noble Book, Abu Muhammad Abd al-Haqq bin Ghalib bin Abd al-Rahman bin Tammam bin Attiya al-Andalusi al-Muharbi (died: 542 AH), edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, first edition. - 1422 AH.
 Tafsir al-Baghawi: Milestones of Revelation in the Interpretation of the Qur'an, Muhyi al-Sunnah, Abu Muhammad al-Husayn bin Masoud al-Baghawi (died: 510 AH), verified and produced by Muhammad Abdullah al-Nimr - Othman Jum'ah Damiriyah - Suleiman Muslim al-Harash, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Fourth Edition, 1417 AH - 1997 AD.
 Tafsir al-Baydawi: Lights of Revelation and Secrets of Interpretation, Nasser al-Din Abu Sa`id Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (died: 685 AH), edited by: Muhammad Abdul Rahman al-Mara'ashli, Dar Ihya al-Tarath al-Arabi - Beirut, First Edition - 1418 AH.
 Tafsir al-Tustari, Abu Muhammad Sahl bin Abdullah bin Yunus bin Rafi` al-Tustari (died: 283 AH), compiled by: Abu Bakr Muhammad al-Baladi, edited by: Muhammad Basil Uyun al-Aswad, Muhammad Ali Baydoun Publications, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, Edition: First - 1423 AH.
 Tafsir Al-Razi: Keys to the Unseen, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, the Khatib Al-Ray (died: 606 AH), Dar Ihya Al-Arabi Heritage - Beirut.
 Tafsir al-Qushayri: Lataif al-Isharat, Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul Malik al-Qushayri (died: 465 AH), edited by: Ibrahim al-Basiouni, Egyptian General Book Authority - Egypt.
 The Brilliant Light of the People of the Ninth Century, Shams al-Din Abu al-Khair Muhammad bin Abdul Rahman bin Muhammad bin Abi Bakr bin Othman bin Muhammad al-Sakhawi (died: 902 AH), publisher: Al-Hayat Library Publishing House - Beirut (No date). Edition: Third - 1420 AH.
 Tabaqat al-Mufassir by al-Dawoodi, Muhammad bin Ali bin Ahmed, Shams al-Din al-Dawoodi al-Maliki (died: 945 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut (No date).
 Classes of Interpreters, Ahmad bin Muhammad al-Adna, one of the scholars of the eleventh century (died: 11th century AH), edited by: Suleiman bin Saleh al-Khaza, Library of Science and Wisdom - Saudi Arabia, first edition, 1417 AH - 1997 AD.
 The Planets Walking with the Notables of the Tenth Hundred, Najm al-Din Muhammad bin Muhammad al-Ghazi (died: 1061 AH), edited by: Khalil al-Mansour, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, first edition, 1418 AH - 1997 AD.
 Dictionary of History "Islamic Heritage in the World's Libraries (Manuscripts and Publications)", Prepared by: Ali Al-Rida Qara Ballut - Ahmed Turan Qara Ballout, Dar Al-Aqaba, Kayseri - Turkey, First Edition, 1422 AH - 2001 AD.
 Dictionary of Interpreters "From the beginning of Islam until the present era", by Adel Nuwayhed, presented to him by: the Mufti of the Lebanese Republic, Sheikh Hassan Khaled, Nuwayhed Cultural Foundation for Writing, Translation and Publishing, Beirut - Lebanon, third edition, 1409 AH - 1988 AD.
 Dictionary of Authors, Omar Reda Kahhala (died: 1408 AH), Al-Muthanna Library - Beirut, Arab Heritage Revival House, Beirut.
 Dictionary of Memorization of the Qur'an Throughout History, Muhammad Muhammad Muhammad Salem Muhaisen (died: 1422 AH), Dar Al-Jeel - Beirut, First Edition, 1412 AH - 1992 AD.
 The easy encyclopedia of biographies of the imams of interpretation, reading, grammar, and language "from the first century to the contemporary ones, with a study of their beliefs and some of their anecdotes," compiled and prepared by: Walid bin Ahmed Al-Hussein Al-Zubayri, Iyad bin Abdul Latif Al-Qaisi, Mustafa bin Qahtan Al-Habib, Bashir bin Jawad Al-Qaisi, Imad Bin Muhammad Al-Baghdadi, Al-Hikma Magazine, Manchester - Britain, First Edition, 1424 AH - 2003 AD.
 Al-Uqyan's compositions in Notable Notables, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din Al-Suyuti (died: 911 AH), edited by: Philip Hitti, Scientific Library - Beirut Al-Uqyan's compositions in Notable Notables.